

الفصل الخامس

الأوديسا

تلخيص وتحليل ونقد

الأوديسا قصيدة فاتنة كالإلياذة ، وقد بلغت كل منهما في بابها حد السحر المعجز ، ولكن الأوديسا أصغر من الإلياذة حجماً ، إذ أن أبياتها لا تزيد على اثني عشر ألف بيت إلا قليلاً ، وموضوعها يختلف كل الاختلاف عن موضوع سالقتها ، فهو يروى قصصاً ساحرة وأحداثاً أسطورية وقعت لأحد أبطال الهيلين إبان عودته إلى بلاده بعد انتصاره في حرب تروادة ، وهو « أوديسوس » الذي خصص المؤلف قصيدته لسرد أحداثه .

ومجملها أنه بينما كان أوديسوس في طريقه إلى جزيرته : إيثاكيه يقاسى أهوالاً صعباً زهاء عشرة أعوام كان أفراد عصابة من الشبان - يطلق عليهم اسم الأدعياء - قد استولوا على قصره وثورته وفرضوا على زوجته الوفية أن تختار لها زوجاً من بينهم ، وفي تلك الأثناء تنصح أثنيه لابنه تيلياخوس أن يرتحل فوراً إلى فيلوس ثم إلى إسبرتا ليستطلع من ملكيهما « نِسْتور » و « مينيلأوس » أبناء والده ، فلا يسعه إلا النزول عند رغبتها ، وهناك يعلم أن والده لا يزال حياً ، ثم يعود أدراجه إلى جزيرته . وتشغل هذه الأحداث الأناشيد الأربع الأول التي تعنون بـ « التيلياخوسية » .

وبعد أن يعاني أوديسوس من ألوان الصعوبات وأنواع المشقات مالا طاقة باحتماله إلا لبطل عظيم مثله ، تقذف به عاصفة هوجاء إلى جزيرة الفيكيان فتراه « نوسيكاً » ابنة ملك تلك الجزيرة فتقتاده إلى قصر والدها ، وهناك يكشف للملك عن حقيقته ، ويروى له قصته ، ويسرد عليه أحداثه مع « الكيكون » و « اللوتوفاج » و « الكيكلوبيس » ثم

ماغاناه في جزيرتي : الهواء وكرّ كيه ، وماتقيه لدى « الكيمريان » ولدى بنات البحر الساحرة أصواتهن وما أحرق به من خطر عند مروره من بين « خاربديس » و « إسيليه » وفي جزيرة ثيران « هليوس » وأخيراً ما وقع له في جزيرة كاليسو التي كانت آخر محنه قبل هذه الجزيرة . وهكذا يحدث أوديسوس ملك الفيكيان وحاشيته برحلته منذ أن افترق من مواطنيه إلى أن قذفت به الأمواج إلى جزيرتهم ، وتشغل هذه الأحوال القسم الثاني الذي عنوانه : « قصص أوديسوس » وهو من الأنشودة الخامسة إلى نهاية الأنشودة الثانية عشرة .

وبعد هذا يبحر على إحدى سفن الفيكيان ، فيصل — على غير علم منه — إلى مسقط رأسه ، وهناك يعلم من الإلهة أثينيه أنه الآن في إيثا كيه ، فلا يسمعه إلا أن يكشف عن شخصيته لابنه وحده ، ثم يعود إلى التخفي ويذهب إلى قصره في أثمال المتساوين يصحبه أحد رعاته المخلصين الخيرين دون أن يعرف حقيقة أمره . وحينئذٍ نشهد عدداً من المناظر الوقحة التي تبدو من الأدعياء ، ثم يلي ذلك كشف أوديسوس عن نفسه لخلصائه من أتباعه وانتقامه من الأدعياء ، ومعاقبته الخادمت الخائفات اللواتي أذعن سر حيلة سيدتهن ثم إظهاره زوجته على حقيقة الأمر ، ثم ارتحاله إلى حيث يقيم والده الشيخ ، وعلمه بتألب أنصار الأدعياء وأقاربهم عليه ، ويتكلمهم جميعاً ضده ، وفي النهاية نشاهد أثينيه تعمل على إنعام الصلح فتقر بهذا التصرف الأمن وتعيد السكينة والاطمئنان . وتستغرق هذه الأحداث القسم الثالث من الأوديسا ، وهو من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الأخيرة ، وعنوانه : « انتقام أوديسوس » .

هذا هو مجمل خاطف لتلخيص الأوديسا ، أما إجمالها في شيء من البسط فهو فيما يلي :

(١) المجموعة الأولى أو التيلياخوسية^(١)

من الأنشودة الأولى إلى الرابعة :

تعنون الأناشيد الأربع الأول من الأوديسا - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً - بعنوان : التيلياخوسية لأن تيلياخوس بن أوديسوس هو بطلها الذى يلعب أهم أدوارها ، ويشغل أبرز مواقف حلولها وارتخالها ، ويبدو على مسرحها - بفضل أثينيه - قوياً صبوراً كتوماً معتزلاً بنفسه ، رغم صغر سنه وقلة تجاربه ، وإن كان المؤلف لم يغفل عن أنه لا يزال فى طليعة العمر وبيع الحياة ، فجعل يسجل ذلك تارة فى صلب أبيات أناشيده ، ويثبته تارة أخرى فى الفراغ الذى يفصل بين تلك الأبيات تاركاً إدراكه إلى فطنة القارئ أو السامع واستنباطه .

ومهما يكن من الأمر فإننا سنحاول هنا أن نلم بأحداثها إلماماً نأمل ألا يكون مملاً لإفراطه ، ولا غحلاً لتفريطه ، وأن يقوى على تقديم صورة كافية للإحاطة بالجوانب الجوهرية من هذه الدرة الساطعة .

إذا بدأنا نطالع الأنشودة الأولى ألفينا المؤلف يفتتحها باستلهم عرائس الشعر كما فعل فى الإلياذة ، ثم يُجمل حوادث أوديسوس وماعاناه فى أسفاره ، ثم يبدأ تفاصيل قصته فيحدثنا أن كل أبطال حرب تروادة الذين جمعهم المعارك قد تفرقوا فمات منهم من مات ، وعاد إلى وطنه من بقى حياً . وبعد ذلك يصور لنا أوديسوس عائداً إلى وطنه فى شمال بلاد الهيلين وقد تم له النصر وسعد برؤية مدينة الأعداء تهوى تحت ضربات مواطنيه لاسيما وأن له فى هذا الانتصار يداً بيضاء طائلة بفضل تبصره ومقدرته على الخدع الحربية ، وشجاعته النادرة ، ولكنه لا يكاد يستمتع بلذة هذا الفوز الذى ظل يصبو إليه عشرة أعوام كاملة

(١) لمعتبر فريق من النقاد هذه المجموعة أحدث مجموعات الأوديسا وضماً ، ولهذا أطلقوا عليها اسم المجموعة الثالثة ، فليقتبه إلى ذلك عند قراءة تقديمهم فى الفصل السادس .

حتى يضل بسفنه فوق صفحة البحر وتتقاذفه الأمواج من جزيرة إلى جزيرة ، وتحقق به الأحداث الرهيبة التي سنقف على تفاصيلها في المجموعة الثانية والتي كان أخطرها على حياته وأشأمها على حظه فقه عين الككلوبيس بن بوسيدون إله البحر إذ أنه لا ينتهي من اقتراف هذه الفعلة حتى يتحداه هذا الإله ويعانده ويذيقه شقاء طويلا وعذابا مريراً في عدة جزر ثم يقذف به في جزيرة « كاليسو » إحدى إلهات البحر الصغيرات فاعتقله عندها زمنا طويلا ولا ترق لتوسلاته أو تلين لتضرعاته ، وإذ ذاك يعطف عليه الآلهة إلا « بوسيدون » فانه يصر على حقه عليه ، غير أن أثينيه تنتهز فرصة غياب هذا الإله الأخير وتتوسط له عند زوس فتتال موافقته على إرسال « هرْميس » في الحال إلى « كاليسو » حاملا أمره بفك اعتقال أوديسوس ، وبعد ذلك يتغير المنظر فينتقل بنا المؤلف إلى جزيرة « إيثاكيه » حيث نرى جماعة من الشبان الوقحاء يحتلون قصر أوديسوس طمعا في زواج « بينيلُپيا » الوفية الحكيمة ، ويسرفون في الاستمتاع بثروة زوجها الغائب وابنها الصغير دون أن تملك الدفاع عن نفسها أو الاحتفاظ بمالها ، ثم نشاهد أثينيه تتدخل في الأمر وتشكل بصورة الملك منتيس أحد أصدقاء أوديسوس العقلاء ، وتنصح تيلياخوس أن يجمع الشعب ويشكو إليه اعتداء هؤلاء الأعداء على ثروته ، وانتهابهم حرمة منزله ، لا الجريمة اقترفها ولا الذنب جناه إلا لأنه صغير ضعيف ، وتطلب إليه - في حالة عدم ارعوائهم عن غيهم - أن يعد سفينة ويبحر إلى مدينتي بيلوس واسبرتا ليستطلع من نِسْتور ومينيلائوس أبناء والده . وعلى أثر ذلك نشاهد أولئك الأعداء يقيمون في القصر مأدبة فخمة يتمثل فيها البذخ والإتلاف ، وتبادل فيها بين تيلياخوس وأولئك الشبان عبارات يكون من نتائجها تهريجه لهم باعتزامه دعوة الشعب غدا للاحتكام إليه . وبهذا تنتهي الأنشودة الأولى .

فاذا كانت الأنشودة الثانية فنحن في جمعية الشعب نشاهد تيلياخوس يتحدث عن عنف أولئك الأعداء واغتصابهم ثروته ونرى عددا من أصدقائه يناصرونه في مطلبه ، ولكن هذه المناقشات تنتهي بالشغب والقوضى ورفض كل مطالب تيلياخوس ولا يسمح

له حتى بسفينة يبحر بها للتنقيب عن والده فيغادر الاجتماع آسفاً محزوناً ويسير منفرداً على شاطئ البحر . وهناك يتوسل إلى أثينيه أن تعينه على نكبته فتبادر إلى معونته ، وتعهده بأن تحضر له السفينة الضرورية ، وأن تسهل له سفره وتحقيه عن أعين الأعداء حتى لا يحولوا دون هذا السفر .

فاذا كانت الأنشودة الثالثة فنحن في مدينة « بيلوس » حيث يصور لنا المؤلف وصول « تيلياخوس » إليها ترافقه « أثينيه وهي لا تزال في صورة « منتور » . وعلى أثر وصولها يستقبلها الملك « نستور » خير استقبال ويكرم رفدها ، ثم يصف المؤلف لنا احتفالاً كان نستور مشغولاً بإقامته للإله « بوسيدون » . وعلى أثر ذلك يقدم تيلياخوس نفسه إلى الملك الشيخ ويسأله عن والده فيروي له كل ما يعرفه من أبناء من عادوا من ملوك الأكيان ، فيحدثه عن عودة أجائمنون واغتيالاه وعن رحلة « مينيلأؤوس » إلى مصر وإقامته فيها ورجوعه منها في نفس اليوم الذي انتقم فيه « أورستيس » لوالده ، ولكنه يعلن آسفاً أنه لا يعلم شيئاً عن « أوديسوس » الذي يحبه لحكمته وذكائه ، ثم ينصح لتيلياخوس أن يتوجه إلى اسپرta ويقابل مينيلأؤوس لعله يعلم شيئاً عن والده . وأخيراً يدعو الملك الشيخ ذلك الشاب أن يبيت في قصره فيلبي دعوته . وهنا تخفى أثينيه عن أعينهما فجأة فينتبه نستور إلى وجود الإلهة وتملأ نفسه الدهشة والإعجاب معاً ثم يطلب إلى تيلياخوس أن يكون عظيم الأمل في الالتقاء بوالده مادامت هذه الإلهة تحميه . وليس هذا لحسب ، بل إنه هو نفسه يبادر إلى تقديم الضحايا إليها لتشمله برعايتها . وبعد ذلك يزود الشاب بما يحتاج إليه في متابعة سفره فيرتحل في صباح اليوم التالي إلى اسپرta .

فاذا كانت الأنشودة الرابعة فنحن في اسپرta نشاهد تيلياخوس وقد وصل إليها يتوجه إلى مينيلأؤوس فيلقيه مشغولاً بتزويج ابنة « ميخاينتيس » وابنته « هرْميونيه Hermionec » وإذ ذاك يصف المؤلف فخامة احتفال الزواج فيقدم إلينا بهذا الوصف لوحة لأفراح تلك العصور ومتعها ولذائدها . ولاتكاد أعين « مينيلأؤوس » و « هيلينيه » تقع على هذا الشاب حتى يعرفاه فيرحبا به أعظم ترحيب وبعد ذلك يأخذان في التحدث عن أوديسوس في شيء

من الحماة و يرويان عنه قصصاً مليئة بالشجاعة والحكمة ، ويقول مينيلائوس إنه قد عرف أفكار كثير من الأبطال وحكمتهم ، وجاب كثيرا من البلاد ، ولكنه لم يعرف قلباً يوازي قلب أوديسوس الصبور .

وبعد أن يستريح تيلياخوس ينبئه مينيلائوس بما حدث به الإلاه برُتيوس في جزيرة فاروس أثناء رحيله إلى مصر . وهو حديث طويل يتناول عدداً من مشاهير الأكيان . ومما جاء في هذا الحديث عن أوديسوس أنه محجوز بالقوة في جزيرة الإلاهة البحرية « كاليسو » فلا يكاد تيلياخوس يسمع هذا حتى يصمم على العودة إلى قصره ، ولكن المؤلف يتركه في أسيرتنا ويعود بنا إلى إيثاكيه فيحدثنا أن الأدعياء حين يعلمون بغياب تيلياخوس يُعدّون له فخاً ليسقط فيه على أثر عودته ، غير أن الجوال « ميدون » يسمع حديث هذا الفخ فينبئ به « بينيأليا » فيسودها القلق على ابنها وتتوسل إلى أثينيه أن تحميه فترسل إليها حلماً ترى فيه كأن شقيقتها تطمئنّها على مصير ابنها وتنبئها بأن أثينيه قد أخذتها الشفقة عليها فأرسلتها لطمأنيتها وإذ ذاك تسألها بينيأليا عن زوجها أوديسوس فترفض أن تجيبها . وبهذا تنتهى الأنشودة الرابعة .

ويرى النقاد أن القديم من هذه الأناشيد هو من مبدئها إلى صدور أمر زوس إلى كاليسو بفك اعتقال أوديسوس . أما الانتقال إلى « إيثاكيه » وما يعقبه إلى نهاية الأنشودة الرابعة فهو عندهم مضاف في عصور متأخرة ، وهم يلاحظون على هذا القسم المحدث أن أسلوبه شعري رشيق سهل ولكنه تنقصه القوة والتركيز أى أنه كثيراً ما يؤدي معاني قليلة بألفاظ كثيرة ، وهو أحياناً يعوزه الانسجام ودقة التصوير . فمثلاً عندما يصور لنا إتلاف الأدعياء في ثروة أوديسوس لا نراه يضع على لسان تيلياخوس ألفاظاً جارحة ، بل لا نكاد نحس في نفسه بالثورة التي تتلاءم مع فداحة الحالة .

(ب) المجموعة الثانية أو أحداث أوديسوس^(١)

١ - من الأنشودة الخامسة إلى الأنشودة الثامنة

إذا كانت الأنشودة الخامسة فنحن أمام أمر زوس الذى رأيناه فى الأنشودة الأولى يصدره إلى « كاليسو » بفك اعتقال أوديسوس ، وبعد أن يعيد المؤلف هذا المنظر ينتقل بنا إلى جزيرة « أوجيجى » التى تقيم فيها تلك الإلهة فيصف لنا جمالها ورشاقها ثم يصور لنا أوديسوس جالساً على الشاطئ فى عزلة ينظر باحتقار إلى كل ما يحوطه من فتنة تسحر العين ، وإغراء يجذب القلب ، ويرسل العبرات مدراراً « لا يرقأ له دمع ، وحياته الحلوة يضيئها التأوه والأنين على العودة لأنه لم يكن يحب تلك الإلهة » وبعد ذلك يرسم لنا المؤلف ألم كاليسو ولوعتها وشدة وقع هذا الأمر بفارقة أوديسوس على نفسها . وأخيراً لا يسمعها إلا أن تدنو منه وتنبئه بأنه حر ، وأنه يستطيع منذ الآن أن يعد العدة لرحيله . ولما كان أوديسوس بفطرته حذراً فإنه يرتاب فى كلامها فتقسم له بكل محرجة من الأيمان أنها صادقة ثم تحاول أن تصرفه عن هذا الرحيل فتبين له مقدار الندم الذى سيلم بنفسه بعد سفره ، وتصور له ما سيفقده لو أصر على الرحيل ، وتشرح له فى إسهاب المزايا التى تتمتع بها عن « بينيلبيا » زوجته فى الجمال وخفة الروح وغير ذلك .

وهنا يرسم المؤلف أوديسوس على حقيقته فيظهره لنا هادئاً يجيب كاليسو على إغراءاتها فى سكون بقوله : نعم أنا أعرف أن العودة شاقة وخطرة ، وأعرف أن بينيلبيا ليست إلا امرأة ، ولا يمكن أن توازن بإلهة ، ولكن سرورى الأوحاد - رغم كل هذا - هو أن أعود إلى مسقط رأسى ، ففهم الإلهة أنه لا يرق لتوسلاتها ، ولا يفتن بإغراءاتها وأنه مُصرٌّ على فراقها فتعادهه والأسى يملأ فؤادها ، فيشرع فوراً فى جمع قطع خشبية ويعدّ منها رَمَماً ثم يبحر عليه منفرداً ، وحينئذ يشعر بوسيدون أن عدوه سيفلت من يده فيبادر إلى جمع السحب ،

(١) رأى بعض النقاد أن هذه المجموعة هى أقدم أناشيد الأوديسا البدائية ، ولذلك وضعوا لها عنوان : المجموعة الأولى .

وفى الحال يقبض بكلتا يديه على خطافه ذى الشوكات الثلاث ويضرب به البحر ضربة قاسية فيقلبه رأساً على عقب فينجم عن هذا أن ينفج عقال جميع العواصف والزواج فتهب من جميع الجهات فى آن واحد ، ولجّة يغطى البحر والأرض نقب سميك من الأبحر فتحدق الأخطار بأوديسوس من كل جانب ، ويضحى رمتيه كأنه ريشة فى مهب لأعاصير



[أنصورة رقم ١١ هى تمثال أخذ عن آخر يرجع تاريخه إلى القرن الرابع قبل المسيح وقد عثر عليه فى متحف أثينا وهو تمثال يوسيندون أيضاً على خطافه ذى الشوكات الثلاث يضرب به البحر حينئذ على أوديسوس]

يظل أوديسوس قابضاً على دفة رمته ليلاً ونهاراً سبعة عشر يوماً ، و بعد هذه المدة يلحق على بعد جزيرة الفيكيان فتطمئن نفسه ويقوى أمله ، ولكن يوسيدون عدوه اللدود يشعر بأنه سينجو فيرسل إليه عاصفة هوجاء لا يرى أوديسوس بداً من أن يقاومها بكل قوته ، غير أن هذه المقاومة تكاد تضع عبثاً لولا معونة الإلهة البحرية « ليكوثيه » و « أثينيه » اللتين يصل بعنايتهما إلى شاطئ نهر ، ولا يكاد يصل حتى يهرع إلى غابة هناك ليختفي فيها لحرصه واحتياطه ، وإذ ذاك تنيمه أثينيه ليسترخ من كل هذا العناء الطويل .

فإذا كانت الأنشودة السادسة فالمؤلف ينتقل بنا من البحر وعواصفه ، وأهواله ومخاطره ، وتأرجح أوديسوس بين اليأس والأمل إلى شاطئ جميل وغابة بدية . ثم يحدثنا أن أثينيه توحى إلى « نوسيكّا » ابنة « ألكينوؤوس » ملك هذه الجزيرة في حلم أن تذهب إلى شاطئ النهر لتغسل ملابس مع رفيقاتها فتفعل ، و بعد أن تنتهي مهمتهن يأخذن في اللعب والقفز والصياح ، فيوقظ ذلك أوديسوس من نومه فتراه تلك الفتاة وتقر صاحباتها منذعرات وتتحدث إليه وحدها فيبدو وديعاً محتشماً في تصرفاته ، فصيحاً في محادثته ، تلوح عليه العزة والكرامة إلى حد أنه لا يسمح بكشف الستار عن اسمه ، وحينئذ تقدم إليه الأميرة طعاماً ولباساً ، و بعد أن يلبس ويأكل تطلب إليه أن يتبعها على بعد وتشرح له ما يجب عليه فعلة للوصول إلى قصر والدها الملك ، ثم تتوجه صوب المدينة ويقف هو لحظة يدعو فيها أثينيه حاميتها العظمى .

فإذا كانت الأنشودة السابعة فنحن في المدينة نشاهد أوديسوس يبحث عن قصر الملك فتظهر له أثينيه في صورة فتاة فيسألها عن ذلك القصر فتدله عليه ثم تنصرف ولا تكاد عينه تقع عليه حتى يعجب بجماله ثم يدخل إلى إحدى ردهاته فيجد الملكة جالسة فيركع أمامها ويتوسل إليها أن تعينه على العودة إلى وطنه ، ثم يجلس في مكان متواضع فيبهر الجميع أدبه وفصاحته وفهمه أساليب اللياقة التي تتبع في البيئات العالية ، ويحسون أنهم أمام شخصية ممتازة فيحفلون به ، ويجلسه الملك في المكان المعد لابنه على المائدة . و بعد تناول الطعام تلمح الملكة أن الملابس التي يرتديها هي من ملابسهم ، فتستوضحه قصته فيروى لها ما وقع له منذ نزوله

في جزيرة كاليسو إلى أن قذفت به الأمواج على جزيرتهم ثم يثنى على مقابلة « نوسيكاً »
الكريمة الحكيمة ولكنه لا يشير إلى اسمه ، ولا إلى وطنه ، ولا إلى حرب تروادة
بشيء ما ، فيعده الملك بأنه سيوصله إلى وطنه مهما كان بعيداً متى قضى الوقت اللازم
لراحته واستجمام قوته .

فإذا كانت الأنشودة الثامنة فنحن في غد اليوم السالف في مجلس مؤلف من عليّة
« الفيكيان » يتناقشون في معونة أوديسوس فيقرر رأيهم على منحه إياها . وعلى أثر ذلك
نشاهد الملك « الكينئوس » يقيم مأدبة أخرى يدعو إليها « ديمودوكوس » وهو أشهر
الشعراء الجوالين الذين منحتهم السماء ما يسحرون به الأرواح ، ويفتنون القلوب من أغنيات
عذبة وأناشيد أخاذة . وعلى أثر انتهاء المأدبة ينهض ذلك الشاعر وينشد مقطوعة تروى



[الصورة رقم ١٢ مأخوذة عن متحف القر ، وهي تمثل إحدى الفتيات مقدمة كوباً من الشراب
إلى أحد المشاهدين خلفاً من الخفلات التي تفيض بها مناظر هوميروس كمنظر حفلة الفيكيان
التي أقاموها لأوديسوس مثلاً .]

مناقشة حادة بين « أخيلوس » و « أوديسوس » يتبادلان فيها الشتم والسباب على مسمع من « أجاممنون » الذى جعل يبدى سروره بسماعه بطلين من أبطال الأكيان يتشتمان . وإذ يسمع أوديسوس هذه الأنشودة يخفى رأسه فى معطفه ويبكى من شدة الانفعال ، وهنا لا يسمع الملك إلا أن يأمر بوقف الإنشاد واستبداله باللعب فيساهم فيه أوديسوس فتكون هذه المساهمة فرصة لإظهار رفعة وتفوقه على جميع أبطال الفيكيان . وبعد انتهاء اللعب يبدأ الرقص فيعجب أوديسوس فيما بينه وبين نفسه بحفنة حركات الشباب ثم يعود الشاعر إلى الغناء فينشد غرام « أريس » و « أفروديتيه » . وفى المساء تقام مأدبة أخرى فيطلب أوديسوس من الجوال أن يغنى لهم أنشودة جواد تروادة ، وقصة سقوط المدينة التى هوت بفضل حيلة أوديسوس ولا يكاد الشاعر يمعن فى الترنم بتلك الأنشودة حتى يعود أوديسوس إلى إخفاء وجهه وإلى الإجهاش بالبكاء . وهنا يحمل حب الاستطلاع الملك « ألكينوؤوس » على وقف الإنشاد مرة أخرى ، ثم يطلب إلى أوديسوس أن ينبئهم بشخصيته ويروى لهم ما وقع له من الحوادث . وبهذا تنتهى الأنشودة الثامنة .

يرى النقاد أن هذه الأناشيد الأربع الأخيرة هى من الأوديسا القديمة وليس فيها من المضاف فى العصور المتأخرة إلا قليل مثل مقطوعة غرام « أريس » و « أفروديتيه » التى تحتوى لذةً وسخرية بالآلهة لا يتفقان مع الإجلال الذى تفيض به أناشيد المؤلف الأول نحو الآلهة .

٢ - من الأنشودة التاسعة إلى الأنشودة الثانية عشرة :

تحتوى هذه الأناشيد الأربع الآتية على حوادث أوديسوس التى وقعت له بعد إبحاره من تروادة . وإليك مجمل هذه الحوادث :

إذا كانت الأنشودة التاسعة فنحن لانزال فى حفلة الملك « ألكينوؤوس » الذى يتحرق إلى سماع قصة ضيفه الممتاز . وعلى أثر ظهور هذه الرغبة منه يبدأ أوديسوس بسرد روايته فيقول :

أنا أوديسوس بن « لايرتيس » ملك « إيثاكيه » ثم يحدثهم أنه لا يكاد يغادر تروادة ويبحر بسفنه حتى يقذف به الهواء بين شَقَب « كيكون » فتحتدم بينهم معركة ينتصر عليهم فيها ، ثم يرى أن الحكمة تقضى بحمل الغنائم والأسلاب والإبحار حالا من تلك البلاد فينصح لأصحابه بذلك ، ولكنهم لا يسمعون لنصحه ويظلون فيها غير آبهين للنتائج ، وإنهم كذلك إذ بأولئك الأعداء يستردون قواهم ويستجمعون شتاتهم ويفاجئون أوديسوس وأصحابه فيقتلون منهم ستة ثم يبحر الباقيون مع أوديسوس ولا يكادون يسمون أنفسهم للبحر حتى تباغتهم عاصفة هوجاء فتقذف بهم في أرض « لوتوفاج » وهى أرض تنبت فيها زهرة اللوتوس التى من يذوقها يفقد ذاكرته كلها فيأكل منها بعض أصحاب أوديسوس على غير علم فينسبون ماضيهم ولا يذكرون حتى بلادهم وأصدقائهم ويرفضون أن يبحروا معهم . وهنا يضطر الآخرون إلى أن يسحبوهم بالقوة ويربطوهم في مقاعد السفن . وعلى أثر ذلك يغادرون هذه البلاد المنحوسة ويلقون بأنفسهم من جديد بين الأمواج فتقذف بهم إلى جزيرة « الككلوبيس » فيتجه أوديسوس فوراً في وفد من أصحابه إلى رئيس الككلوبيس فى كهفه ويقدم إليه الهدايا سيراً على سياسته التى تنشده المجاملة دائماً ، ولكنه لا يكاد يصل إليه حتى يمد يده فيتناول اثنين من أصحابه ويسحق رأسيهما ثم يلتهم جسيميهما فى شراهة ونهم ، فيوقن أوديسوس أن الحظ قد خانته فى هذه المرة أيضاً ، ولكنه لا يفقد هدوءه ويلجأ إلى حيله وحكمته فيسكر الككلوبيس ثم يضع فى عينه الوحيدة حديدة عمدة فيقتلعها وينجو ببقية أصحابه فيركبون سفنهم ويبحرون فرحين بنجاتهم مثنين على حكمة رئيسهم وتبصره . (انظر الصورة رقم ١٣ فى صفحة ٩٤)

ويعتقد النقاد أن هذه الأنشودة التاسعة هى إحدى الأناشيد البدائية فى الأوديسا لأنها تمتاز بما امتازت به الأناشيد القديمة من القوة والعظمة وانسجام أجزاء الرواية فيها .

فإذا كانت الأنشودة العاشرة فإننا نشاهد أوديسوس فى جزيرة « إيؤلوس » إله الرياح منذ شهر ، ونرى هذا الأخير يعطف عليه ويعتزم إزالة أسباب شقائه فيجمع العواصف



[الصورة رقم ١٣ مأخوذة من متحف القاتيكان ، وهي تمثل أوديسوس يقدم كأساً من الخمر إلى
السينكلاوبس ليسكره ويبدو عليه مظهر الأحمق والجلال الممزج بالدهاء]
لرديئة ويسجنها في قربة ويقدمها إلى أوديسوس وينبئه أنه مادامت هذه القربة مغلقة
فلن يصطدم بأية عاصفة فيسر أوديسوس ويشكر الإله ويبحر . ولانزال سفنه سائرة حتى

يروا بلادهم رأى العين ، وهنا يغلب أوديسوس النوم فيظن جماعة من رفاقه أن هذه القرية
تحتوى شيئاً نفيساً يستأثر به أوديسوس دونهم فيتهزون فرصة نومه ويفتحونها فتنتطلق منها
العواصف السيئة وتحيط بهم من كل جانب وتظل تقذف بسفنهم يميناً وشمالاً حتى تلقى بها من
جديد إلى جزيرة « إيثولوس » غير أن ذلك الإلاه يعتقد هذه المرة أنه لولا غضب الآلهة
عليهم لما حدث لهم كل هذا فيطردهم من جزيرته ، فيلقون بأنفسهم مرة أخرى بين أحضان
الأمواج فتقذف بهم على جزيرة « الاستريمون » أو أكلة اللحوم البشرية فيهجمون عليهم
هجوماً عنيفاً يأخذون في تمزيق أجسامهم ويلتهمون لحومهم حتى لا يبقى منهم إلا نقر
قليل يستطيعون النجاة بحيلة أوديسوس وذكائه ، وهنا يسرعون إلى إحدى سفنهم ويبحرون
بها على عجل فتأخذ الأمواج في تقاذفهم حتى تلقيهم على جزيرة « كركيه » الساحرة فيتوقف
عن الاندفاع إلى التغلغل في جزيرتها قبل أن يعرف عنها شيئاً ويرسل إليها وفداً من رفاقه
فلا يكاد هذا الوفد يصل إليها حتى يحتفى رئيسه عنها ويقدم إليها بأمر أوديسوس بقية
الأعضاء ولا توشك عندها أن تقع عليهم حتى تحولهم جميعاً إلى خنازير . وإذ يرى الرئيس
ذلك يعود مسرعاً إلى أوديسوس فينبئه بما حدث . وبينما هو يفكر فيما ينبغي أن يفعل
إذ به « هرْميس » رسول الآلهة يوافيه فيحصنه هو ورفاقه الباقين بما يحول بين السحر
وبين التأثير فيهم . وبهذا يستطيعون أن يتجهوا إلى الساحرة آمنين مطمئنين فلا
تتمكن من تحويلهم إلى حيوانات ، ولكنها تسلك بإزاء أوديسوس سبيلاً أخرى
وهي سبيل التأثير في قلبه وسلبه التفكير في العودة إلى بلاده وإشماره بالسعادة في هذه
الجزيرة ، فيظل على هذه الحال لا يفكر في نفسه ولا يحس بشوق إلى وطنه سنة كاملة ،
ولكن رفاقه إذ يطول عليهم الزمن ينهبونه إلى واجبه فيفطن إلى ما حدث منه ويستأذنونها
في الرحيل فتأذن لهم وتعينهم بقدر المستطاع ، وتنصح لأوديسوس أن يتوجه رأساً إلى مملكة
الموتى لأنه لن يظفر بالعودة إلى بلاده إلا بعد أن يذهب إلى هذه المملكة ، ليسأل فيها شبح
العراف « تيرسياس » عما يقع له من الحوادث ، إذ أن هذا الشبح هو وحده الذى منحه
« يرْسيفنيا » زوجة « أديس » إلاه الجحيم الذكاء والعرقان فيدعونها ويبحرون .

أما الأنشودة الحادية عشرة فتعنون بعنوان « الضحية للموتى » ومجملها أن أوديسوس يتبع نصيحة كركيه الساحرة فيعزم — على أثر مغادرته جزيرتها — الذهاب إلى مملكة الموتى ويظل سائراً حتى يصل إلى نهاية الأرض حيث يوجد مدخل هذه المملكة ، وهنا يُعدُّ الضحية وينحرها فيسيل دمها القاتم الذي يجذب أشباح الموتى ولا يكاد يفعل حتى



[الصورة رقم ١٤ مأخوذة عن رسم على وعاء أثري ، وهي توجد في دار الكتب الوطنية بباريس وتمثل أوديسوس مستلماً سيفه من غمدته ليحفر به أخفرة التي يختزن فيها دماء الضحية بعد نحرها وإلى جانبه صاحبه : أوزيلوخوس ، وپيريميديس بعد أن حملا الضحية]

تنهال عليه تلك الأشباح أفواجا فيرى « الپينور » أحد أصحابه وقد مات في جزيرة كركيه فيتحدث إليه ثم يلمح والدته « أنتيكليا » التي تركها حية عندما توجه إلى تروادة فتصطدم في نفسه عاطفة الاشفاق على شبح والدته بعاطفة الحرص على مصلحته فتغلب عليه الثانية فينحى شبح أمه ليبقى على الدم لشبح « تيرسياس » العراف . وإذ ذاك يصل هذا الأخير فيشرب من الدماء ثم ينبي أوديسوس بأن « پوسيدون » هو الذي يتعقبه

بسخطه وحقده لأنه قلع عين ابنه الكيكلوپس ثم يتنبأ له بكثير من البأساء التي لا تزال تنتظره قبل عودته إلى بلاده ، ولكنه لا يسمي من هذه الصعوبات إلا واحدة ستعترضه في جزيرة « ثرينكويه » المأهولة بقطعان الإلاه « هليوس » . غير أنه يبشره بأنه سيعود بعد هذه المحن إلى « إيثاكيه » ثم يرشده إلى الضحايا التي يجب عليه أن يقدمها إلى يوسيدون بعد عودته لتهدئته . وعلى أثر انتهاء مهمة هذا الشبح ينسحب ثم تتقدم والدته فتشرب وتتحدث معه حديثاً يصفه النقاد بأنه من أبدع فصول الأوديسا . وبعد هذا الحديث تتعاقب عليه شهيرات البطلات الهيلينيات من سيدات وفتيات ، ولكن المؤلف هنا يصور لنا أوديسوس على الحياء ولا يبدى بازاء ما يشاهده أية عاطفة . وبعد انتهاء أولئك البطلات يحىء دور رفاق أوديسوس في القتال من أبطال الأكيان فيرد إلى الدماء أجاممنون وأخيلوس وأياس ، وإذا ذاك يرسم لنا المؤلف صورة مؤثرة للحزن العميق والأسى المبرح اللذين يملكان قلوب أولئك الأبطال الشجعان ، ويصف لنا لوغتهم على فراق من كانوا يحبونهم على الأرض ، وأسفهم على صلاتهم السابقة وتعلقهم بالحياة . وما أبدع تلك الموازنة المؤثرة التي يعقدها أجاممنون بين وفاء « بينيلبيا » زوجة أوديسوس وخيانة « كيليميدستريه » زوجته ثم يسأل أوديسوس في حسرة عن أبناء ابنه الصغير أورستس ، ولكن دون جدوى ، إذ ليس المسئول أعلم بها من السائل . وبعد صمت أجاممنون يصف المؤلف لوعة أخيلوس على الحياة وصفاً يمزق نياط القلوب . وأخيراً يصور لنا « أياس تلامون » منقبضاً مكتئباً معرضاً عن أوديسوس رغم ما يوجهه إليه من عبارات لينة وألفاظ ودیعة لأنه لا يزال حاقداً عليه بسبب ما وقع بينهما في الحياة من منازعات ومخاصمات .

وبعد انتهاء هذا المفطر الفاتن يعرض علينا المؤلف شخصيات أسطورية شهيرة مثل مينوس قاضى الجحيم و تيتوس الذى نراه ممتداً على الأرض ، وسباع الطير تمزق كبده عقاباً

له على ماوجه من إهانة إلى إحدى معشوقات زوس . و « تَذَنَالُوس^(١) » الذى نشاهده مقضياً عليه إلى الأبد بعذاب الجوع والظأ رغم وجود الذ الأظعمة وأشهى المشروبات إلى جانبه . « وسيسيفوس^(٢) » الذى نراه مقضياً عليه بإصعاد صخرة كبيرة من أسفل الجبل إلى قمته ، فإذا وصل إليها انحدرت الصخرة إلى مكانها الأول ، وهكذا دواليك بلا انقطاع .

وعندما يرى أوديسوس هذه المناظر المزعجة يتملكه الفزع ويعدل عن رغبته فى إطالة الثواء بين أشباح الموتى ويكبت غريزة حب الاستطلاع فى نفسه ويقفل راجعاً إلى سفينته وبهذا تنتهى الأنشودة الحادية عشرة .

ويعتقد النقاد أن أكثر مناظر هذه الأنشودة هى من الأوديسا البدائية ، إذ تظهر فيها البساطة والعظمة الطبيعية والفخامة الخالية من التعمل والتكلف وإن كان قد أضيف إليها فى العصور المتأخرة بعض المناظر مثل منظر ظهور « أليبنور » الذى يظهر انتحاله بجلاء لأنه لا يشبه ما بعده من مناظر الأبطال الآخرين فهو لا يشرب من الدماء كما شربوا ولا يجهل أوديسوس كما جهله الآخرون حتى والدته ، بل يرى هذا الأخير يتحدث إليه قبل مقابلة شبح تيرسياس ، وهذا يتنافى مع حرص أوديسوس الذى دفعه إلى تنحية والدته عن دم الضحية قبل تيرسياس . ومن هذه المناظر التى يرى النقاد أيضاً أنها مضافة منظر تعاقب شهيرات النساء الهيلينيات الذى يبدو فيه أوديسوس سلبياً لا يتحدث إلى أية واحدة منهن ولا يصف لنا شيئاً من أحاسيسه عند مرورهن به .

فإذا كانت الأنشودة الثانية عشرة ألفينا بطلنا — وقد عاد إلى جزيرة الساحرة — يقص عليها ما سمع من روح العراف ويطلب إليها النصيحة فيما يجب أن يفعل ، لكي يتجنب العقبات التى ستصادفه فى طريقه فتنبئه بأنه سيمر على جزيرة بنات البحر اللواتى كل واحدة

(١) تَنَالُوس هو ملك ليديا والسبب فى غضب الآلهة عليه هو أنهم كانوا قد وفدوا عليه يوماً فأراد أن يعرف ما إذا كانوا يعلمون الأسرار حقاً أو هم يدجلون فذبح ابنه وقدم لإيهم لحمه فاستشاطوا غضباً وقضى عليه زوس بهذا العذاب المؤبد .

(٢) سيسيفوس هو ملك كورنت وكان مشهوراً بالزندقة والفسوة فقصى عليه بهذا الشقاء .

منهن نصف جسمها يشبه السمك والنصف الآخر يشبه الإنسان ، والوثن يجذبهن بغنائهن كل مسافر يمر بجزييرتهن دون أن يقوى أى شخص من البشر على مقاومة هذا الغناء . ولكن جميع الذين يصفون إلى أصواتهن يهلكون لا محالة . وإذا فالوسمية الوحيدة للنجاة هى أن يغلّقوا آذانهم بالشمع حتى لا يسمعوها شيئاً ولكن يجب أن يظل واحد منهم مفتوح الأذنين لكي ينبئ رفاقه بأن موضع الخطر قد زال فينزعوا الشمع ، وأن يكون هذا الواحد أوديسوس نفسه ، ولكن على شرط أن يربطه رفاقه بأحد أجزاء السفينة ربطاً محكمًا حتى لا يستطيع مطاوعة الأصوات التى ستغنى ثم تذبئه بأنه — بعد النجاة من بنات البحر —



[الصورة رقم ١٥ هى رسم على وعاء أثري يوجد في متحف بريتيش بانجلترا ، وهى تمثل أوديسوس المخصب في الحيل ، وقد أخذ حذره ضد بنات البحر الساحرة أصواتهن ، فأمر رفاقه أن يشدوه إلى صار السفينة لينجو من الهلاك الناجم عن مطاوعتهن افتتاناً بأصواتهن ، ويرى في الصورة ثلاث من تلك المغويات يحلفن بأجنتهن حول السفينة مترنحات بأصواتهن العذبة لجذب أوديسوس] .

سيمر بوحشين مزعجين ولكنه سينجو منهما إذا اتبع الخطه التى ترسمها له ، فيشكرها

ويرتحل ويطيع نصائحها فيسلم هو ورفاقه من فتنة غناء فتيات البحر . غير أنه لم يكد يتخلص من هذا الخطر حتى تلقيه الأمواج أمام كائنين مرعبين أحدهما يدعى : « كارِ بديس » والثاني يدعى « إسكيليه » وقد كان هذان الوحشان قبل ذلك إلهتين غاية في الملاحه والجمال فافتتن بهما بوسيدون إله البحر افتتاناً شديداً ، فلما أحست زوجته « أنفتريته » ذات العينين الزرقاوين بهذا الغرام تملكتهما الغيرة فأسرعت إلى تحويل الإلهة الأولى إلى وحش مخيف يظل مدى الدهر يبتلع مياه البحر حتى يمتلئ جوفه منها ثم يقذف بها إلى الخارج ، وهكذا لا يكف أبداً عن هذين العاملين . ومسخت الثانية حيواناً بشعاً يلتهم كل مسافر يعتمد عن الخطر الذي يشاهده من ابتلاع الوحش الأول المياه وقذفه بها . وإذا يمر أوديسوس من بين هذين الكائنين وهو الطريق الوحيد الذي يمكنه المرور منه ليتبع نصيحة الساحرة في هذا أيضاً فيبتعد عن الوحش الأول ويقرب من الثاني الاقتراب الذي لامدوحة عنه والذي يترتب عليه أن يضحي فيه بستة من رفاقه يلتهمهم الوحش ، إذ ليس من ذلك مفر كما أنبأته الساحرة . وبهذا المسلك ينجو مع بقية الرفاق .

يظلون بعد ذلك تحت رحمة الأمواج حتى تقذف بهم على جزيرة « ثِر ينكيه » التي توجد بها ثيران « هليوس » التي أنذرتة الساحرة بهلاك جميع رفاقه إذا مسوها بسوء كما أسلفنا . وإذا يبلغون هذه الجزيرة - وكان الجوع والتعب قد نالا منهم كل منال - ينام أوديسوس فينتهز رفاقه فرصة نومه ويذبحون بعض هذه الثيران فيستشاط إله الشمس غضباً ويطلب إلى زوس هبوب العواصف السيئة وتحطيم السفن الباقية لهم وهلاك جميع ركبها إلا أوديسوس الذي كان زوس قد وعد بعودته فيستجاب طلبه وتحطم السفن ويفرق جميع ركبها إلا أوديسوس فإنه يظل حياً ثم تلقيه الأمواج على جزيرة كاليسو التي تحبه وتكلف به وتبقيه عندها رغم أنه سبعة أعوام حتى يجيئها الأمر من زوس بالإفراج عنه كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . وعند ما يفك اعتقاله يربط بعض الأخشاب إلى بعضها ويركبها ويظل عليها حتى تقذف به الأمواج إلى جزيرة « الفَيَـكَيان » حيث هو الآن يقص على ملكها كل حوادثه .

وعندما يسمع منه هذا الملك الخير تلك القصة المؤثرة يزيد في إكرامه واحترامه ويقدم إليه كثيراً من الهدايا والمنح في السفينة التي أعدها له .

ويرجح النقاد المحدثون أن هذه الأنشودة ليست من الأوديسا البدائية وإن كانت تشتمل على مناظر ساحرة مثل منظر جزيرة بنات البحر الذي يظهر أنه مقتطع من أسطورة قديمة جمعت الجمال إلى الرهبة ، وربطت بين الافتتان والانذاعار ، وكذلك قصة « كاريبيديس » و « اسكيليه » التي رسم لنا فيها المؤلف شجاعة أوديسوس وقوة إرادته ، وامتلأه نفسه وعواطفه ساعة الحزن والأخطار ، وأبان لنا كيف أنه اقترب من الوحش بالقدر الذي يلامس التهلكة ولا يحققها ، ويدنو من الهوة ولا يسقط فيها . وفوق ذلك فإن أسلوبها نموذج من نماذج الرشاقة والمتعة .

بهذه الأنشودة ينتهى القسم الثانى من الأوديسا وهو الذى يحوى أسفار أوديسوس وما يتعلق بهامندمخادرته تروادة إلى قبيل رحيله من جزيرة الفيكيان . والآن إليك القسم الأخير من هذه الخريدة .

(ج) المجموعة الثالثة أو انتقام أوديسوس^(١)

من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الرابعة والعشرين :

يحتوى هذا القسم على عودة أوديسوس إلى إيثاكيه ووصوله إلى قصره ثم إعداد الانتقام من الأعداء الذين ضايقوا زوجته واضطهدوا ابنه وأتلفوا ماله . والفكرة العامة التى يمكن أن نبديها هنا عن هذا القسم قبل الخوض فى تفاصيل أناشيده ومناظره هى أن المأسى تقل فيه عنها فى القسم الثانى كثيراً وتحل محلها تحليلات شيقة لشتى العواطف ومختلف الأحاسيس وأن من أهم مايلفت النظر فيه هو الإبطاء فى العمل والإسهاب فى المحاورات .

(١) رجح النقاد أن هذه المجموعة تلت المجموعة السالفة فى الإنشاء وتقدمت على الأولى فوضوا لها عنوان الأنشودة الثانية .

إذا كانت الأنشودة الثالثة عشرة رأينا المؤلف يصف لنا إبحار أوديسوس من جزيرة الفيكيان يرافقه عدد من أهلها حتى يصلوا جميعاً إلى « إيثاكيه » فيحمل أولئك الأجانب أوديسوس الذى غلبه النوم ويطرحونه على الشاطئ ويضعون إلى جانبه الهدايا التى حملوها معهم ثم يرتحلون عائدين إلى بلادهم . وإذ ذاك يعاود الحقد القديم بوسيدون فيطلب إلى زوس أن يحول سفينة أولئك الفيكيان إلى صخرة تجاه مرفئهم ، فيجيبه زوس إلى سؤاله وتتحول السفينة ثم يعلم الملك بذلك ، فيعلن أنه تحقيق لإذار قديم نبأ به الوحى ، وأنه لن يتدخل منذ الآن فى شؤون الأجانب ، وبعد ذلك ينتقل بنسا المؤلف إلى شاطئ إيثاكيه الذى تركنا أوديسوس نائماً عليه فنراه يستيقظ من نومه ونرى أثينيه تزملة بما يخفيه عن أعين الأعداء حتى لا يعرفوه فيقتلوه ثم تتقدم إليه فى صورة أحد شبان الرعاة فيسأله أوديسوس أين هو الآن ؟ فينبئه الراعى بأنه فى إيثاكيه . وهنا يعود إلى أوديسوس مكره وتبصره فيخترع قصة يروى فيها سبب نزوله فى هذه الجزيرة فتضحك أثينيه وتداعبه بيدها وتتشكل فى الحال فى صورة سيدة جميلة وتخطبه بهذه العبارات الرشيقة المرحية :

« أيها المنافق الكذوب الذى لا يشبع من الحيل من ذا الذى يفوقك فى المهارة إلا إلهة؟ ».

وعلى أثر ذلك تعرفه بنفسها وتنصح له بما يجب عليه فعله وتطلب إليه أن يثبت ويحتمل فى صبر المحنة الأخيرة التى لا بد له من المرور بها قبل انتقامه من خصومه فيشكرها أوديسوس ويبدى دهشته من هجرانها إياه كل هذه المدة ويعتب عليها عتياً لطيفاً فتعتذر إليه بأنها لم يكن فى وسعها أن تصادم عمها بوسيدون الذى كان حنقه عليه قد بلغ أشده وتؤكد له أنها لم تغفله البتة فى جميع ظروفه وتُبَشِّرُهُ بأنها ستعينه منذ الآن بلا قيد وأنه سينتصر على أعدائه فيمتلئ حماساً وقوة ويناجيها قائلاً :

« قفى بالقرب منى وانفخى فى قلبى جرأة عظيمة كما فعلت يوم هدمنا أسوار تروادة الضخمة . إذ وقفت إلى جانبي ممثلة حماساً يا أثينيه ذات العينين الزرقاوين ، وإذا أعنتنى أيتها الإلهة الجليلة فإنتى أقاتل ثلثمائة محارب » .

وهنا نعهده أثينيه بالمعونة . وفي الحال تغير صورته إلى صورة شيخٍ فإن يرتدى ملابس بالية وتأمّره أن يذهب لينتظرها عند « أميوس » راعى خنازيره الأمين ثم تتوجه هي إلى اسبرتا لتحضر تيلياخوس .

ويعلق النقاد على هذه الأنشودة بأنها جميلة رشيقة تشهد لمؤلفها بالروح القصصى ، وفوق ذلك فإن فيها صورة قيمة لعاطفة هي من أسى العواطف وألقاها ، وهي حذب أثينيه على أوديسوس بعد عتبه عليها ذلك العتب الرقيق . ومما تمتاز به هذه الأنشودة أيضاً هو أنها تعتبر إعداداً لما سيحيى بعدها من أناشيد .

إذا كانت الأنشودة الرابعة عشرة ألفينا أوديسوس يتوجه إلى الراعى فى صورة متسول حسب أمر أثينيه فيلقاه ذلك الراعى ببشاشة ويقدم إليه الطعام ثم لا يلبث أن يبدى تدمره من أولئك الأدعياء الوقحاء الذين يتلفون ثروة سيده الغائب وسيدته الضعيفة التى لا عون لها ولا سند ، ثم يروى له تفاصيل ما يجرى فى المدينة والقصر ، فيسرى عنه المتسول ويتنبأ له بأن أوديسوس سيعود ، ولكنه يبدى بأساً لا يتزعزع من عودة سيده فيؤكد له الفقير أنه سيعود وأنه مستعد لأن يبقى عنده بلا أكل ولا شرب حتى يعود سيده فيسخر الراعى منه سخرية مريرة وينبئه بأنه كثيراً ما مر به من الدجالين من أكدوا له عودة سيده دون جدوى ، وأنه لا يرى فائدة من نقل هذه النبوءة إلى سيدته « بينيليا » لأنه شبه واثق من عدم تحققها .

فإذا كانت الأنشودة الخامسة عشرة فنحن فى اسبرتا نشاهد أثينيه تظهر فى الرؤيا لتيلياخوس وتأمّره بالسفر حالاً إلى مسقط رأسه ، ولكن لما كان إخفاء عودة والده عنه ضرورياً لنجاح المشروع فإنها تخترع له سبباً يزعمه ويضطره إلى الرحيل فوراً . ومجمل هذا السبب هو أن والد بينيليا وإخوتها يريدون إرغامها على الزواج من أحد الأدعياء ، وأنه يخشى أن تحمل ثروته إلى زوجها الجديد لأن المرأة ترغب دائماً فى إنماء ثروة زوجها ، غير أنها لا يفوتها أن تنبئه بالفخ الذى نصبه له الأدعياء والذى أشار إليه المؤلف فى الأنشودة الرابعة ثم تحذره من الوقوع فيه وتبين له وسيلة الخلاص منه .

وعلى أثر استيقاظ تيلياخوس من النوم بعد العدة للعودة إلى بلاده ثم يبحر مزوداً بهدايا فاخرة من لندن مينيلأوس . وفي أثناء سروره بمدينة « بيلوس » يلتقى بالعراف « ثيوكليمينوس » الذى سيلعب فيما بعد دوراً له قيمته فيحمله معه في سفينته .

ينتقل بنا المؤلف بعد ذلك إلى إيثاكيه حيث نشاهد الراعى يقص على أوديسوس قصة حياته المؤثرة التى يروى فيها أن أشراراً خطفوه في طفولته وباعوه لوالدة أوديسوس . وأخيراً يشهدنا المؤلف نزول تيلياخوس إلى مرفأ الجزيرة فنراه على أثر نزوله يرسل أصحابه إلى القصر ويتوجه هو وحده توأ إلى مقر الراعى كما أمرته أثينيه فى الرؤيا .

فإذا كانت الأنشودة السادسة عشرة رأينا تيلياخوس يصل إلى مقر الراعى فيستقبله هذا الأخير بسرور مؤثر ثم يقدم إليه ضيفه الفقير . وبعد ذلك يبعث تيلياخوس الراعى إلى والدته لينبئها سراً بمقدمه . ولا يكاد الراعى ينصرف حتى تأتى أثينيه وتدعو أوديسوس خارج المسكن فتعيد إليه صورته الحقيقية وملابسه الفاخرة وتأمره أن يعرف ابنه بشخصيته . وهنا يرسم لنا المؤلف منظر التعارف فى لوحة فائنة أخاذة تعتبر من أجمل لوحات الأوديسا . وعلى أثر ذلك يتشاوران فى الوسيلة التى يعدان بها الانتقام من الأعداء ، فيصور تيلياخوس لوالده صعوبة المهمة التى هما قادمان عليها بقوله : « ليس الأعداء ياوالدى عشرة أو ضعف العشرة ، وإنما هم أكثر من ذلك كثيراً وسأنبئك بعددكم لكى تحيط به علما : يوجد أولاً اثنان وخمسون شاباً من عليه « دولكيوس » يتبعهم ستة من الخدم ثم أربعة وعشرون من « ساميه » ثم عشرون من شبان الأكيان جاءوا من « زاكنتوس » ثم اثنا عشر شاباً من أشجع أهل « إيثاكيه » وهذا عدا « ميدون الجوال » واثنين من الطهاة » .

وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى المدينة فيرسم لنا منظراً مظلماً نشاهد فيه الأعداء يندون ويروحون ويتفاوضون فى قلق واضطراب لأن أصحاب تيلياخوس يصلون فلا يجد أولئك الأعداء ضحيتهم التى أعدوا لها الفخ ، ومن جهة أخرى نرى بينيليا مرتاعة على ابنها لأنها لاتزال تجهل مصيره . وأخيراً يحىء الراعى فيطمئنها عليه ثم ينام الجميع . وبهذا تنتهى الأنشودة .

ويرى النقاد أن الفرق بين المنظر الأول والمنظر الأخير من هذه الأنشودة بعيد جداً ،
فبينما نرى المنظر الأول غاية في الجمال والسحر ، نرى الثاني مفعماً بالظلمة والاضطراب ، خالياً
من الانسجام . ومن الممكن - فيما يرون - أن يكون المنظر الأول من الأوديسا القديمة ،
أما الثاني فهو منخفض المستوى إلى حد أنه لا يمكن عزوه إلى المؤلف الأول .

أما الأناشيد : السابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون فلا تكاد تحوى
إجمالاً أكثر من عودة أوديسوس إلى قصره في صورة^(١) المتسول واحتماله سخرية الأدعياء ،
وإهاناتهم المتكررة ، وانتظاره في حذر ساعة الانتقام .

فإذا كانت الأنشودة السابعة عشرة فتحن شاهد تيلياخوس يتجه منفرداً إلى القصر
فتلقاه والدته لقاءً مفعماً بالحنان والسرور ، ثم يروى لها قصة رحلته ، وبعد ذلك ينتقل بنا
المؤلف إلى مقر الراعى فيرينا هذا الأخير يتوجه بدوره إلى المدينة يرافقه الشيخ المتسول
فيران في طريقهما بـ « ميلنثيوس » حارس معز أوديسوس الذى يحمله عدم الوفاء لسيدته
على الميل مع الأدعياء ، فيضرب الشيخ المتسول على فخذه ضربة قاسية ، يسائل أوديسوس
على أثرها نفسه عما إذا كان يسحق رأسه في الحال ، ولكنه يتألك شعوره ويكظم غيظه
ويستمر في طريقه مع صاحبه حتى يصل إلى القصر ، فيلمح كلباً عجوزاً قد بلغ منه الإعياء
والمرض حدّاً جعل الجميع يهملونه ولا يعنون بشأنه فيتذكر أنه ، أرجوس ، كلبه الأمين .
وفي الحال يعرف الكلب سيده فيحرك ذنبه وأذنيه دون أن يستطيع النهوض والارتقاء
عليه . وفي نفس اللحظة يلفظ النفس الأخير فتترقق العبرات في عيني أوديسوس ، ولكنه
يخفى تأثره ويدخل القصر فيجلس على عتبة قاعة المائدة فيأكل ما يرسله إليه تيلياخوس .
وعلى أن فراغه من الأكل تجميئه أثنييه وتأمّره أن يطوف بجميع الأدعياء يسألهم الإحسان
فيعطونه كلهم إلا « أنتينوس » فإنه يضربه بأحد المقاعد فلا يسع أوديسوس إلا أن يلغنه
على نحو ما يفعل الضعفاء أمام طغيان الأقوياء ، ولكن تيلياخوس يحس بدمه يغلى في

(١) يلاحظ أن أثنييه قد ردت إليه صورة الشيخ المتسول قبيل عودة الراعى من المدينة .

عروقه ولا يملك نفسه إلا بصعوبة وعناء . وإذ تعلم ، بينيليا ، بهذا الحادث تتألم لإهانة أجنبي فقير في قصرها ثم تطلب إلى « أميوس » راعى خنازيرها الأمين أن يحضر هذا الأجنبي إليها لتسرى عنه وتسأله عن أوديسوس فلعله يكون قد سمع في أسفاره بشيء من أنبائه ، فيبلغ الراعى الشيخ الأجنبي رغبة الملسكة فيقبل ذلك ، ولكنه يؤجل الدخول إلى مابعد غروب الشمس لكي لا يعرض نفسه لشر الأعداء . وهنا يعود « أميوس » إلى قطيعه . وبهذا تنتهى الأنشودة السابعة عشرة .

ويملق النقاد على هذه الأنشودة بأنها قوية تفيض من بين أبياتها الحيوية والحركة والنشاط ، وتشع من عباراتها البساطة والعظمة الطبيعية والفخامة البعيدة عن العمل . وبالإجمال تلوح عليها أمارات الشعر القديم بأجلى مظاهرها .

فإذا كانت الأنشودة الثامنة عشرة فنحن نشاهد « إيروس » - وهو أحد المتسولين - يتشاجر مع أوديسوس ويصر على طرده من القصر بحجة أنه يضايقه ، وأن المكان لا يتسع لائنين ، وأنه أولى منه بالبقاء لسابقتيه عليه من جهة ولشبابه وقوته من جهة أخرى فيقترح « أتينيوس » أن يتعارك المتسولان فيبقى منهما من يفوز بالغلبة وينصرف الآخر ، فيقبلان هذا الاقتراح . ولا يكاد كل منهما يدنو من صاحبه حتى يهزم « أوديسوس » « إيروس » شر هزيمة . وبعد ذلك توحى أثينيه إلى بينيليا أن تدخل إلى قاعة القصر وتنصح لابنها أن يلتزم جانب السلم والهدوء والعقل والاتزان فتفعل ، ولا يكاد الأعداء يرون منها هذا حتى ينهبوا وينخدعوا ويقدموا إليها الهدايا ، فيسر أوديسوس من رؤية زوجته تبدى الترحيب بالأعداء مع أنها تخفى لهم في نفسها حقداً عميقاً ويشعر بأنها تشبهه في مكره ودهائه . وبعد أن تنصرف بينيليا يطلب أوديسوس من الخادmates أن يتبعن سيدتهن فيطعننه إلا إحداهن وهى « ميلنتو » فإنها تسبه ولا تنصرف إلا بعد أن يهددها بإبلاغ تيلياخوس . وأخيراً يتحرش به أحد الأعداء ويضربه بالمقعد ولكنه يخطئه بفضل مهارته ثم يحىء تيلياخوس فيعمل على سيادة السكون . وأخيراً يسلم الجميع أنفسهم إلى النوم .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة مفككة منحنطة المستوى لا يلوح عليها أى أثر من عبقرية الشاعر البدائي ، وإنما هي مقطوعات أضيف بعضها إلى بعض بدون فن ولا دقة . ومن آيات ذلك أن أحد مناظرها يصور لنا أوديسوس أمام رؤية زوجته للمرة الأولى بعد عشرين عاماً دون أن يرسم لنا شعوره وانفعاله ولو في داخل نفسه . وفوق ذلك فإن أخلاق بينيليا في هذه الأنشودة تختلف عنها في الأناشيد البدائية .

أما منظر الخادمة التي تسب المتسول فإن القارئ يحس أنه محاكاة سخيفة لمنظر راعي المزر الذي رأيناه يضربه في الأنشودة السابقة حتى أن اسمها يكاد يكون تحريفاً بسيطاً لاسمه .

وقصارى القول إنها أنشودة عادية خالية من ميزات المواهب الهوميروسية .

وإذا كانت الأنشودة التاسعة عشرة فنحن نشاهد أوديسوس وتيلياخوس في القصر في جوف الليل ينقلان الأسلحة من القاعة الكبرى ليضعاهما في حجرة يحملها الأعداء حتى لا يتمكنوا من استخدامها عندما يبدأ أوديسوس في الانتقام منهم . ويقترح هذا الأخير أنه إذا دهش أولئك الشبان من نقل الأسلحة فإنه يقال لهم إن الباعث على نقلها سببان أولهما ألا تصدا من الدخان الذي كانت معرضة له في مكانها السابق . وثانيهما خشية تيلياخوس أن يتشاجروا فيستعملوها في حالة الغضب استعمالاً يندمون عليه فيما بعد . وبعد أن يفرغوا من تأدية هذه المهمة ينسحب تيلياخوس إلى حجراته ليستريح ويبقى أوديسوس لتسأله الملكة كما وعدنا في الأنشودة السابعة عشرة . ولا تكاد بينيليا تخلو به حتى تنسم منه ما عسى أن يكون قد وصل إلى علمه من أخبار أوديسوس . وفي أثناء الحديث يبدو جلياً تعلق هذه الملكة بزوجها الغائب ، وحبها إياه ووفائها له إذ تدبته أن أولئك الشبان الوقحاء يضايقونها منذ عدة أعوام وأنها - لكي تتخلص منهم - ابتكرت حيلة مجملها أن الواجب يقضى عليها بأن تنسج كفناً لـ « لايرتيس » الشيخ القاني والد زوجها المفقود والذي لا عون له في الحياة ، وأنها مستعدة لقبول الزواج متى انتهت من نسج هذا الكفن ، وأخذت تنقض ليلاً

ماتنسجه نهاراً ، وظلت على ذلك ثلاثة أعوام حتى وشت بها الخادومات لدى الأدعياء ، فكشف سرها واقتضحت حيلتها ولم يعد لها الآن عذر في المماطلة ، ولا مناص من قبول ذلك الزواج البغيض لاسيما وأن والدها وإخوتها يدفعونها إليه دفعا .



[الصورة رقم ١٦ هي رسم على وعاء أثيني ، وهي تمثل بينيليا عاكفة على نسيجها الذي اتخذته حيلة لتدفع بها الأدعياء الذين كانوا يحاولون قهرها على الزواج من أحدهم فاستعملتهم حتى تنهى هذا النسيج ثم جعلت تنقض ليلاً ماتنسجه نهاراً لتكسب الوقت إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً]

وعند ما يسمع الشيخ هذا الحديث يملك عليه التأثير مشاعره ويتذكر لها قصة خيالية يحدثها فيها أنه شقيق ملك كريتيه وأنه رأى أوديسوس منذ عشرين عاماً حين كان ذاهباً إلى تروادة ، وبيان ذلك أن الرياح قد قذفت به إلى جزيرته فأكرمه وضافه اثني عشر يوماً ، ولكي تؤمن بهذه القصة يصف لها الملابس التي كان يرتديها إذ ذاك . ولما كانت تذكرها جيداً فإنها تؤمن بكل ما يقول . وبعد إنهاء رواية الماضي يحدثها عن المستقبل فيزعم لها أنه سمع أن أوديسوس حي ، وأنه سيعود قريباً ومعه ثروة ضخمة غير أن استحكام اليأس من نفسها يحول بينها وبين الجرأة على الأمل في عودة زوجها فتأخذ في ترديد التأوه والأنين ، ولكنها تطلب إلى هذا الشيخ أن يبقى في القصر ياكل ويشرب دون أن يقوم بعمل ثم

تأمر « أوركليا » مرضع زوجها أن تغسل له رجله قبل أن ينام ، ولا تكاد هذه المرضع العجوز تنتحي به ناحية وتكشف عن ساقه حتى ترى في إحدى ركبتيه أثر جرح كان خنزير برى قد أحدثه فيها منذ زمن بعيد فتبلغ بها شدة الانفعال المبالغ حدّاً يفقدها وعيها ، وتقلب الإناء الذي أعدته لغسل رجله ولكن أوديسوس يأمرها بالصمت ولولا أن أثينيه أدارت انتباه بينيليبيا قصداً لصرفها عن الإدراك لقطنت إلى ما حدث ولكنها لا تحس بشيء مما يجري بالقرب منها . وأخيراً يختم أوديسوس حديثه معها بترديد الأمل في عودة زوجها ثم ينصرف إلى حجرة نومه .

فإذا كانت الأنشودة العشرون ، فنحن في حجرة نوم بينيليبيا نشاهدها تجهش بالبكاء في سريرها وتحاول النوم فلا تستطيعه وتعمل على التملل بالأمل فيغلبها القنوط ثم ينقل بنا المؤلف إلى غرفة أوديسوس فنراه حائراً يملك عليه القلق كل أحاسيسه ويفكر فيما عسى أن يأتيه به الغد من أحداث فيجافيه النوم ويرافقه الأرق ، وهنا تجيء إليه أثينيه وتؤنبه على تزعزع ثقلته ، وتطمئنه على النتيجة ، وتؤكد له القوز والانتصار فينام . وعند ما يستيقظ في الصباح يتوسل إلى زوس أن يبعث إليه إشارة تدل على أنه يكلؤه برعايته فيجيب سؤله ويرسل الرعد يجلجل في السماء رغم أن الوقت صحو فيغضب أوديسوس بذلك ويتجه فوراً إلى « أميوس » الراعي الذي يصل في هذه اللحظة . وبينما هما يتحدثان إذ يصل « فلو تيوس » رئيس الرعاة الذي هو الآخر مثال من أمثلة الوفاء لسيدته والذي يفيض من عباراته موطد الأمل في عودته . وعلى أثر ذلك يقصد الأدعياء إلى القصر ويجلسون إلى مائدة الإفطار . وإذا ذاك يطلب تيليباخوس إلى الشيخ أن ينتحي زاوية ويقدم إليه شيئاً من الطعام ، غير أنه لا يكاد يفعل حتى يتقدم إليهما « ككتيسيبوس » أحد الأدعياء وينهر الشيخ ويرميه برجل ثور فيقتادها بمهارة البطل المتمرن . وإذا ذاك تجيء أثينيه وتحدث في الحال اضطراباً في رؤوس جميع الأدعياء فيأخذون في القهقهة على المائدة من غير سبب حتى تسيل الدموع من أعينهم . وفي الحال يهض العراف « كيكليمينوس » ويتنبأ في شعر مأساوي مروع بموت الأدعياء في العاجل القريب .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة لا تخلو من مناظر جميلة فاتنة وإن كان فيها شيء من التفكك يؤذن بأن بعض مناظرها من الأوديسا القديمة والبعض الآخر من وضع العصور المتأخرة .

فإذا كانت الأنشودة الحادية والعشرون فنحن نشاهد أثينيه توحى إلى بينيلپيا أن تنقب عن قوس أويسوس الكبرى وتحضرها وتقدمها إلى الأدعياء قائلة لهم إن أيكم يرمى بها سهمًا تحترق حديد اثنتى عشرة بلطة هو الذى سيتزوج منى فتفعل ما تأمرها به الإلهة ويقبل الأدعياء هذا الشرط ، وهنا يتقدم تيلياخوس ويعلن أنه سيساهم فى هذا الرهان ، وأنه إذا استطاع تحقيق ذلك الغرض فإنه يحول بين أمه وبين الزواج ، غير أنه لا يقوى على شد وتر القوس فضلاً عن الرمى بها فيتخلى عن المكان لـ « ليوديس » أحد الأدعياء ولكنه لا يمتناز عن تيلياخوس فى شد الوتر بأية ميزة ، فينسحب ويعلن أنه لن يتزوج بينيلپيا أحد مادام هذا الشرط قائماً . وإذا ذاك يقترح « أنتينوؤوس » أن يدهن الوتر بشحم حمى فيجذب إلى اقتراحه ثم يحاول الجميع شده واحداً بعد واحد ولكن محاولتهم تضيع عبثاً ولا يبقى منهم إلا « أنتينوؤوس » و « أوريماخوس » وهما أشجع الأدعياء جميعاً . وقبل أن يبدأ هذان الدعيان محاولتهما يجذب أوديسوس راعييه : « فلوتئوس » و « أومايوس » إلى خارج القاعة ، وبعد أن يستوثق مرة أخرى من وقائهما يعرفهما نفسه على عجل فيستطاران فرحاً ويقسمان له على المساعدة ، بل على القدائية . وإذا ذاك يأمر « فلوتئوس » بإغلاق جميع الأبواب وبمراقبة الخدامات والعمل على تحقيق السكينة عندما يسمع سكان القصر أنين الجرحى وحشجة المحتضرين ثم يعود هو و « أومايوس » إلى القاعة فيجدان « أوريماخوس » قائماً بمحاولة شد الوتر عبثاً . وهنا يقترح « أنتينوؤوس » أن تؤجل هذه المحاولات إلى الغد ، لأن اليوم هو عيد « أبولون » وفيه لا يقوى أحد أيا كان شأنه على شد وتر . وفى هذه اللحظة يطلب الشيخ المتسول أن يسمح له بمحاولة شده ، فيثور الأدعياء وينبذون هذه الفكرة لا خوفاً من أن يتزوج هذا السائل من بينيلپيا ، ولكن حرصاً على سمعتهم من الإهانة إذا استطاع شد الوتر ، غير أن بينيلپيا تطلب أن يجاب إلى سؤاله ،

لأنه ليس متسولاً ، وإنما هو من عنصر سام وتعدم بأنه لو وفق لا كتفت بإعطائه شيئاً من المنح والمدايا فيؤيد تيلياخوس والدته في هذا الاقتراح ويطلب إليها أن تصعد إلى جناحها مع خادمتها ، لأنه فهم أن ساعة البطش قد حانت فتدعن بينيليا وتسحب . وهنا يتناول « أومايوس » القوس ويضعها بين يدي أوديسوس رغم احتجاج الأعداء ثم يسر إلى الموضع العجوز أن تغلق أبواب القصر الداخلية وألا يقلقن إذا سمعن أنيناً . وفي أثناء ذلك يقبض أوديسوس على القوس ويشد الوتر في سهولة ويضع فيها سهماً ثم يرميها فتخترق جميع الحدائد التي هي غرض الرهان فيستولى على الأعداء ألم مبرح ويمتقع لونهم . وبعد ذلك يدعو « أوديسوس » « تيلياخوس » بإشارة فيقف إلى جانبه ويده سيف وحرية .

فإذا كانت الأنشودة الثانية والعشرون فنحن نرى أوديسوس يقف ، وابنه إلى جانبه ويضع عند قدميه كومة من السهام ثم ينزع الملابس البالية ويصيح قائلاً : « الآن وقد انتهى الاختبار ، فأنا سأسدد سهمي إلى هدف لم يمسه أى إنسان بعد » . وعلى أثر ذلك يصبوب السهم الأول إلى « أنتينوؤوس » فيخترق عنقه ويتبع هذا بتقدمه نفسه إلى الأعداء فترعد فرائصهم ويسودهم القلق والاضطراب ، ويحاول أوريماخوس أن يستعطفه ويهدئه فيعلن باسان الجميع أن ماضى كان كله ناشئاً من تحريض أنتينوؤوس ، وأن الجميع على أتم استعداد للانسحاب فوراً ولتعويضه كل ما أفقده إياه أثناء غيابه ، غير أنهم يتحققون من تصميم أوديسوس على إفنائهم فيلتجئون إلى آخر وسيلة وهي محاولة الدفاع عن أنفسهم ثم يستخدمون ميلنتيوس راعي المعز الخائن في إحضار أسلحة لهم من داخل القصر ، فيأخذ في تأدية مهمته ويحضر لهم بعض هذه الأسلحة ولكن أوديسوس يتنبه لذلك فيبعث إليه « أومايوس » وفلوتيس راعييه الأمينين فيربطانه في عمود ثم يعودان حالا فيقفان إلى جانب سيدهما ليساهما معه في حظه أيا كان . وإذ ذاك تجيء أثينية في صورة منتور وتأخذ في تشجيع أوديسوس ثم لا تلبث أن تتحول إلى صورة طائر وتقف على خشبة بارزة في السقف لتشهد المعركة وتشارك فيها فيشرع أوديسوس ورفاقه الثلاثة في طعن الأعداء بحراهم . أما مهمة أثينية فهي تحويل ضربات الأعداء عن أوديسوس وأنصاره إلى الفراغ وتستمر

المعركة على هذا النحو حتى لا يبقى في قاعة القصر إلا «ميدون» و «فيموس». الشاعران وبعد انتهاء المعركة يرسم لنا المؤلف جزع «أوركليا» المرضع العجوز من منظر سيدها ملطخا بالدماء ، محوطا بالجثث ، وغبطها وسعادتها بعودته وانتقامه من أعدائه . وبعد ذلك يطلب إليها أوديسوس أن تعين له الخادومات الخائئات فتدله على اثنتي عشرة خادمة فيدعوهم ويكلفهن أولاً تنظيف القصر . وعلى أثر انتهاءهن من هذه المهمة يأمر تيلياخوس والراعيين بقتلهم فيشتقونهم ثم يحىء دور «ميكنتيوس» فيأمر بالتمثيل به : فتقطع أذناه وأنفه وأطرافه . وأخيراً وبعد تطهير القصر بالكبريت يرسل المرضع لتستدعى بينيليا والخادومات الأمينات ، وبهذا تنتهى الأنشودة .

فإذا كانت الأنشودة الثالثة والعشرون فنحن في حجرة بينيليا نشاهد المرضع توقظها من نوم عميق كانت أئينيه قد ألقت عليها السكى لا تحس بشيء مما يقع بالقرب منها . وإذا تستيقظ تنبها بكل ما حدث فلا تصدق منه شيئاً ولا تسمح لخيالها بقبول الأمل في عودة زوجها ، وتؤكد للمرضع أنه إذا كان الأدعياء قد قتلوا حقاً ، فإن أحد الآلهة قد قتلهم لمسفهم ووقاحتهم ، أما زوجها فلا يمكن أن يكون قد عاد ، ولكنها رغم هذا تنزل لتستوثق من رواية المرضع . وإذا تقع عينها على أوديسوس تفكره ، لأنه لا يزال في صورة الشيخ المتسول وعليه ملابسه ، فلا يسمع تيلياخوس إلا أن يؤنبها في أسلوب جاف ويأخذ عليها قسوتها نحو زوجها ويصف قلبها بالتحجر ، وعاطفتها بالشذوذ عن الإنسانية . وهنا تجيبه في هدوء وتبصر قائلة إنه إذا كان هو ، فإنها ستعرفه حينما ينفردان بوساطة علامة مجهلة كل من عداها فييتسم أوديسوس اغتباطاً بتبصر زوجته ويوافق على إجراء هذا الاختبار ، غير أنه يريد قبل ذلك أن يأخذ الحيلة بإزاء ذبوع موت الأدعياء حتى لا تتمكن أسرهم من تأليب المدينة عليه . وبعد أن يتم له ما يريد يدخل الحمام فيغتسل ويترزين ثم ترد إليه أئينيه صورته وتلقى على وجهه الرشاقة والمهابة ولكن بينيليا لا تزال نشك فتتصب له شركاً يعينها على كشف الحقيقة ، وهو أنها تأمر المرضع بنقل سرير زوجها إلى خارج الحجرة ، وغايتها من هذا أن تبين ما إذا كان هذا الرجل يعرف سر السرير أو يجهله لأن أوديسوس هو

الذى صنعه ووضع له مسامير خفية تجعل نقله غير ممكن فلا تسكاد توجه هذا الأمر إلى المريض حتى يصبح أوديسوس قائلاً : كيف تستطيع نقل سريري الذى صنعته بيدي وسمرته بطريقة تجعل نقله مستحيلاً فتقتنع تماماً . وهنا يرسم لنا المؤلف لوحة مؤثرة لتعارف الزوجين وانفعالهما ويصور لنا لذة اللقاء بعد طول البعاد . وبعد أن تعتذر إليه عن إبطائها في معرفته يجلسان معاً ويتحدثان عن محنهما الماضية وما لقي كل منهما بعيداً عن صاحبه من كوارث ونكبات ، ومصاعب وعقبات ، ويرسمان مرارة الفارقة وما تحدثه في القلب من لوعة وحرقة . وفي صباح اليوم التالي يصور لنا المؤلف استعداد أوديسوس أولاً لزيارة والده الشيخ ثم عزمه على زيارة حقوله ومراعيه وقطعانه .

فإذا كانت الأنشودة الرابعة والعشرون فإن المؤلف ينتقل بنا إلى مملكة الموتى حيث نشاهد شبحي أخيلوس وأجاممنون يتحدثان عن موتهما ، وإنهما كذلك إذ تقد عليهما أرواح الأدعياء يقودها « هرميس » فيعرف أجاممنون أحدهم وهو « أنفيميدون » فيسأله عما حدث فيروى له القصة من أولها إلى آخرها . وعند ما يسمع أجاممنون وصف أمانة بينيليبيا ووفائها لزوجها تمتلئ نفسه حسرة ويسارع إلى الموازنة بينها وبين زوجته الآثمة ويندب حظه ويصور تعاسته ، وبعد ذلك ينتقل بنا المؤلف إلى منزل « لا إرتيس » حيث يشهدنا لقاء ابنه في منظر ساحر مؤثر تبرز فيه العاطفة الأبوية والحنان الذي زادته الشيخوخة ونماء القراق الطويل . ولا يكاد الوالد الغاني ينعم بمرأى ولده العزيز حتى ينمى إليهما نبأ قاتم مؤداه أن أقارب الأدعياء قد قدموا مدججين بالسلاح للانتقام لأبنائهم . وعند ما يسمع أوديسوس هذا النبأ ينهض على الفور ويسرع إلى لغائهم تؤيده أثينيه ويشد أزره ولده ويناصره ستة من خدمه الأوفياء . ولا تسكاد المعركة تحتمل حتى يقتل أولئك الخصوم ويطارد أوديسوس ، وهنا يتدخل زوس فيأمر أثينيه بإجراء الصلح بين الفريقين فيسود السلام وبهذا تنتهي الأوديسا .

ويرى النقاد أن الأناشيد الحادية والعشرين والثانية والعشرين وأكثر الثالثة والعشرين من الأوديسا القديمة لأنها تؤلف وحدة متماسكة منسجمة ، أما ما أضيف بعد ذلك من مناظر رواية الحوادث الماضية وإعداد حجرة النوم واستعداد أوديسوس في صباح اليوم التالي لزيارة والده فهو من وضع العصور المتأخرة . وكذلك الأنشودة الرابعة والعشرون كلها مضافة ، وليس ذلك الرأي من ابتكار النقد الحديث ، وإنما كان نقاد العصر الاسكندري يعتقدون أن الأوديسا القديمة تنتهى بمنظر تعارف أوديسوس و بينيليا ، وأن كل ما بعد ذلك مضاف . ويلاحظ المحدثون أن عودة أوديسوس إلى مملكة الموتى فى الأنشودة الأخيرة هى محاكاة تافهة سخيفة لزيارته الأولى لتلك المملكة .